[٢]

نقاش اسرائيلي حول دروس حرب تشرين

مع مرور عام على حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، تجدد النقاش في اسرائيل حول نتائج تلك الحرب وتأثيرها على الاوضاع الاسرائيلية ، داخليا وخارجيا ، وكذلك ابعادها المحلية والدولية ، ثم الدروس المستخلصة منها بالنسبة للمستقبل . والنقاش الاسرائيلي حول حرب تشرين ، الذي بدأ مباشرة بعد موافقة الاطراف المتحاربة على ايقاف اطلاق النار ، لم يتوقف ، عمليا ، منذ ذلك التاريخ ، وان كان قد مر في « مراحل » مختلفة. فخلال الاشهر الاولى التي تلت الحرب مباشرة ، كانت ردود الفعل الاسرائيلية عبارة عن انتقادات لاذعة موجهة الى النظام الاسرائيلي بأكمله، حكومة وجيشا واحزابا ومؤسسات وقيما ، بل ان هذه الانتقادات لم تترك ناحية من نواحي الحياة ، العامة او الخاصة ، في اسرائيل الا وتعرضت لها، فيما ظهر وكأنه كفر بالمسلمات واعادة نظر شبه شاملة في المواقف السابقة ، وذلك نتيجة لما أسماه بعض الاسرائيليين « الطوفان » او « الزلزال » الذي حل بهم خلال الحرب . غير انه مع مرور الوقت ، ومع عودة الهدوء الى المنطقة بعد توقف القتال اثر توقيع اتفاقيات فصل القوات، على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم التركيز على النشاط السياسي ، راحت تلك اللهجة تتغير وحلت بدلا منها نغمة اخرى ، اكثر « اتزانا » و«هدوءا»، تتجه الى تقييم النتائج والاوضاع من خلال وجهة نظر اكثر « عمقا » و« شمولا » ، بينما ازداد ، في الوقت نفسه ، الاهتمام بالدروس المستخلصة من الحرب وتأثيرها على استراتيجية اسرائيل ومواقفها في المستقبل . وسنقدم فيما يلي عرضا للاراء التي طرحت خلال هذه المرحلة الثانية، «مرحلة الهدوء»، وخاصة تلك المتعلقة منها بالدروس « النهائية » التي تم استخلاصها، وبابعادها المستقبلية وتأثيرها على الصراع العربي — الاسرائيلي .

« المرآة غير معوجة ... ونحن لسنا جميلين »

يكاد لا يختلف اسرائيليان فيما بينهما ، كما يتضح من مجمل المناقشات التي دارت حول حرب تشرين منذ انتهائها وحتى اليوم ، ان تلك الحرب قد أثرت بصورة واضحة ، على الاوضاع الاسرائيلية الداخلية والخارجية ، وبشكل فاق تأثير اي حادث اخر في اسرائيل منذ انشائها . غير أن الاختلاف في وجهات النظر يظهر في ردود الفعل ، التي تنقسم — عامة — الى تيارين ، يبدو أن الاول منهما قد اتعظ بنتائج الحرب وراح يدعو الى اتباع سياسة اسرائيلية اكثر واقعية تجنبا لوقوع حرب اخرى ، في حين يركز التيار الاخر اهتمامه على الدعوة الى صقل القوة الاسرائيلية وتلافي الاخطاء التي وقعت في الحرب السابقة ، استعدادا للحرب القادمة التي ينبغي ان يدفع العرب خلالها ثمن ما الحقوه باسرائيل من خسائر، مادية ومعنوية ، خلال الحرب الاخيرة .

ان الدروس التي استخلصها الاسرائيليون من الحرب عديدة ، اولها ذلك الذي فتح اعينهم على واقع جديد ، كادوا ينسونه عقب انتصار ١٩٦٧ . « فحتى يوم الغفران ، او على الاصح حتى الساعة الثانية من ظهر ذلك اليوم... اعتاد (الاسرائيليون) على النظر من فترة لاخرى في المرآة لكي يشبعوا نرجسيتهم القومية . والصورة التي انعكست هناك كانت جميلة ، ذات شرايين وملامح ذكية . لقد نظر الاسرائيليون في المرآة ثم حدثوا انفسهم بأن وضعهم لم يكن مرة احسن مما هو عليه ... ولكن منذ الحرب بدا غير واضح لهم ما اذا كانت المرآة معوجة — او أنهم لم يكونوا جميلين ومحقين وحكماء واقوياء الى الحد الذي تصوروه . ان عدم التأكد هذا يمزقهم الآن اكثر من أي مسألة اخرى ... بعضهم يلقي بالمسؤولية على المرآة ، وهو متأكد من صحة تشخيصه ، لدرجة انه يحاول احيانا الهجوم عليها لتحطيمها ... ولكن عدد اولئك الذين راحوا يصلون الى النتيجة ، صعبة القبول ، بأن المرآة بحالة جيدة ، آخذ في الازدياد — وهي النتيجة التي تترك في أنفسهم الحساسة ندبا صعبة ... ويظهر لهم المستقبل ، في ضوء هذا الاكتشاف، شاحبا ومحفوفا بالمخاطر » (اهرون بيخار — ملحق يديعوت احرونوت ، ١٩٧٤/٩/٢٠) . اما الاسباب الكامنة وراء هذا الشعور فانها عديدة ، منها — كما يشير احد الاطباء النفسانيين الاسرائيليين ، البروفسور رفائيل موزس (معاريف، ١٩٧٤/٩/١٣) — اكتشاف الجندي الاسرائيلي بانه